

التعليم

الاستاذ عادل عسوم يكتب فرنسا التي رايت

أضواء البيان • 01-06-2024 • 10 دقائق قراءة





أضواء البيان
نيوز



الاستاذ عادل عسوم يكتب)
وعصي الدمع) اغنيتان بذ فيهما
(الجنذول) الدكتور كابللي محمد
عبد الوهاب وام كلثوم



بدأت علاقتي بفرنسا مع صوت مذياعي اذاعة (مونت كارلو) منذ طفولتي حيث اعتاد الوالد رحمه الله سماع نشرات أخبارها وتحليلاتها الشاملة الوافية، وما فتئت اصوات مقدمي برنامج بانوراما تتردد في أذني إلى يومي هذا... قبل أعوام تيسر لي السفر إلى فرنسا مرارا، وذلك لزيارة عدد من الشركات الفرنسية أهمها شركة باسم (بورنامان) وهي متخصصة في صناعة نوع خاص من المضخات، وكذلك شركة إيرليكيد الرائدة في مجال انتاج الغازات الصناعية والطبية، والأجهزة والوحدات الخاصة بالتعبئة...

ويجدر بي أن اذكر بأن إهداء شقيقي الأكبر -العائد حينها من ليبيا في بداية الثمانينات -لعطر فرنسي بديع -نسيت اسمه- قد كان سببا أساسا لمحبتتي للمنتجات الفرنسية، حيث أصبح ذاك العطر عطري المفضل لسنوات، الى أن أبدلته بـ(ألور أسبورت)، ثم (بوس)، ثم (فهرنهيت)، إلى أن أستقر بي الحال مؤخرا على عطر -برغم كونه عادي جدا- الا انه هادئ ومريح واسمه (lively)، وليس (lovely)، ويوجد منه نوعان في الأسواق (أصلي، وتقليد).

وكم كان لزيارتي الأولى لفرنسا من تأثير على اهتمامي بال(حالة) الفرنسية، فإذا بي أجد نفسي أكثر من قراءاتي عن فرنسا استصاحبا للعديد من رؤس الأقسام عنها، كالثورة الفرنسية، وتاريخها المخضرم المرتهن بالحرية كما يحبون ذكر ذلك دوما، وكذلك ثقافتها العامة ومايكتنفها من معايير للجمال، فإذا بي أجد لهم فوتا تبينته في الكثير من البصمات الموجبة المتمثلة في الجودة على اطلاقها، ولكن كبي فرس وجداني عن الايغال في مشوار الميل إليهم، وذلك ل(سفور) تلمسته بأنا في سمت كل مايليهم، تنأى بي عن قبوله أطر عقدية أيقن بأنها أليق بحفظ الأفكار والصور والمشاهد لتهبها ثباتها في دواخلي، دون هلامية يشي بها ذاك السفور...

وصلت إلى مطار مدينة نيس في أقصى جنوب فرنسا، وانطلقت في معية مندوب الشركة الجزائري الأصل، الذي كلف باستقبالي ومعي مهندسين آخرين أحدهما عماني يمثل الشركة التي تمثل الشركة الفرنسية في سلطنة عمان والثاني مهندس هندي يمثل وكيل الشركة الفرنسية في دولة الامارات العربية المتحدة...

وقد لاحظت بأن جل -إن لم يكن كل- سائقي الليموزين في المطار من أصول مغربية، بل ان السحنات المغربية تكاد تسيطر على كل مظاهر الحياة في تلك المدينة...

وصلنا إلى الفندق وكان اليوم صباح جمعة واتفقنا ثلاثتنا اجراءات استلام غرفنا ووضعنا امتعتنا واغتسلنا وابدل كل منا ملابس السفر ثم انطلقنا مع ذات السائق إلى الشركة.

وخلال اليوم التالي وهو السبت حيث عطلة نهاية الاسبوع أخذوني لوحدي دون رفيقي الى مزارع الكروم (العنب) التي تحف المدينة الخضراء من جهة الشمال الشرقي...

نظرت من نافذة السيارة فإذا بالكثيير من فتيات ونساء المغرب العربي يعملن هناك!

وطلبت مندوبة الشركة الفرنسية الأصل ليزا من السائق السنقالي الأصل ايقاف العربى بجوار مجموعة منهن رأيتهن يرقصن وهن يتناولن وجبة الغداء داخل مظلة واسعة تقع على طرف حقل العنب المترامي الأطراف...

وتوجهت ليزا اليهن فاستقبلنها بسيماء تشي بالاعتیاد عليها، وما لبثت أن شرعت ترقص معهن وهي تشير لي قائلة بأني عربي من المملكة العربية السعودية...

قالتا بالفرنسية ثم اتبعتهما بالإنجليزية لتعلمني ماذا قالت لهم، فتوقفت الفتيات عن الرقص وجئن للسلام علي...

مدت أولاهن يدها وكأني بها تود وضع خدها الأيمن على خدي الأيسر فجهدت في إرجاع رأسي إلى الخلف واضعا

كفي الأيمن على يمنها واتبعت ذلك بابتسامة ودودة لافهمها بأني أود للتحية أن تقتصر على الأكف فقط، فما كان من التالية إلا أن غطت شعرها وقالت لهن كلمات لم أتبين منها سوى (سعودي عربية)!... وقلت لنفسني حينها لعمرى إني لأنأى بنفسى عن سلام احتكاك الخدود هذا من قبل الرجال حسب عادة أهل هذه الديار التي أعيش فيها، فما بالك بأن يكون ذلك من قبل امرأة أو فتاة! رجبت بي احداهن وأعلمتني بأنهن جزائريات وتونسيات ومغربيات يعملن في جني الكروم، فقلت لهن بأنني من السودان ولست من السعودية وقد جئت ممثلاً لشركة سعودية لكوني اعمل هناك... والحق اقول كم جهدت في متابعة وفهم لهجاتهن فلأكنهن يتحدثن بالفرنسية، قالت لي احداهن -وهي تونسية- بأن شقيقتها متزوجة من سوداني يقيم في دولة الامارات، وانها تتمنى أن تتزوج سوداني ايضاً، فسألتها ولماذا سوداني بالتحديد؟! قالت-في حياء- لأنهم (فيهم حنية برشة)! قالت ذلك وتعالى ضحكاتهن...

ثم شرعن مرة أخرى في الرقص والتغني ولكن هذه المرة بأغنية (المambo السوداني)! يا لهذا المambo السوداني التي لا يعرف هؤلاء العرب سواها من غنائنا السوداني... وفجأة علا صوت فرنسي سبعيني وهو يصيح بهن، فما لبثن إلا أن انتشرن في الحقل. كم اسيت لهن وقد بدين لي وكأنهن أميات لم يتلقين تعليماً، او لكانهن لم يكملن تعليمهن لما كان يبدو على هياتهن من سيماء تنبي بفقر بائن ووجوه كالحة تكتنفها سذاجة ووداعة... قالت لي ليزا:

-قلبي يرق لهن لما يكابدهن من ظلم وألم، ثم أردفت قائلة:

هل تصدق ياسيد علي أنهن يتقاضين ما يعادل الخمس يوروهات فقط في اليوم! واخبرتني بأنها تسكن قريباً من هذه المنطقة، وقد اعتادت المجئ اليهن كلما وجدت فسحة من وقتها، تشاركهن بعض المرح وتسعى -مع آخرين- من خلال منظمة فرنسية لحقوق الإنسان لتحسين أوضاعهن وهن المستجلبات من دولهن لهذا العمل المضني بهذا المقابل القليل! فشكرتها على ذلك وانطلقنا لنكمل جولتنا في المدينة، وفي طريق العودة سألت ليزا:

- هل تعرفين جان دارك؟

ضحكت وقالت لي:

نعم انها فتاة تلبثتها روح علوية واستطاعت ان تلج الى قلوب ووجدان الملايين في أوروبا... قلت لها:

لان كانت كذلك فلماذا باعها فرنسا إلى انجلترا ليتم اعدامها وحرق جثتها هناك؟! ثم اردفت قائلاً:

انني أعلم الكثير من الحقائق عن جان دارك والكثير من تفاصيل تأريخ أوروبا لكوننا ندرس ذلك في ثنايا المنهج الدراسي السوداني، واقول لك بأن الهالة التي أحيطت بها انما كانت من صنع البعض، والا لكانت جان دارك قد كرمت -قبيل وفاتها- من كل الدول حاربت لأجلها ولما تركت لمصيرها السئ الذي تعلمين. واضطرد نقاشنا ليدور عن الصور والتماثيل على عمومها وقد رأيت المدينة تكتظ بها حتى تكاد تزاخم الناس في

كل بقعة في المدينة!

لقد الهمني الله بأن اواصل الحديث واخبرها عن حرمة التماثيل في ديني الاسلام والسبب في ذلك، فحدثتها عن قصة العلماء السبعة من قوم نوح والتماثيل التي صنعت لهم بإيعاز من ابليس ليعبدها الناس من بعد وذلك عندما وجدتتها تنصت لي بإهتمام بدأ جليا على محياها وكنت أقول لنفسي بأن انسانة مثلها تحس بآلام أولئك الفتيات المغربيات بالقطع ستكون أدعى لأن تطالها عناية الله وهدايته لها إلى الإسلام، فما كان مني إلا أن اكملت حديثي وإذا بها تقول لي وأنا اهم بالنزول من العربة لألج إلى الفندق:

- حقا ياسيد علي لقد جعلتني أفكر بجدية في اعادة التفكير في أمر التماثيل!

ثم أضافت:

وأعدك بأن أقرأ أكثر عن ذلك، ولتعدني أنت بنقاش آخر - حول ذات الأمر- قبيل سفرك ان اردت، فقلت لها لابأس... ثم ولجت الى الفندق.

وقد أمضيت في مدينة نيس -خلال زيارتي الأولى هذه- حوالي الأسبوعين أو أكثر، وقد سمحت لي الشركة خلالها بقيادة سيارة (بيجو) صغيرة أعجبتني جدا من حيث جمالها الداخلي، وكذلك ثباتها على الطريق لقدرة البيجو الفائقة على امتصاص الصدمات حيث يريح ذلك ظهر سائقها كثيرا، وقد كنت سنيها أقود سيارة هيونداي سانتافيه هنا في المملكة ومن قبلها تنقلت ما بين الهوندا أكورد والتويوتا والفورد...

والحق أقول بأن قيادتي لتلك السيارة البيجو جعلني (أكفر) بكل السيارات الأخرى -وبالطبع ليس في ذلك اللكزس والفئات الفخمة كالليجن في الهوندا والقراند ماركيز الأمريكية وسواها مما يعلن بكعبهن عن أن يكن لي مطايا، فما كان مني -بعيد عودتي من فرنسا- الا أن قررت إبدال سيارتي ببيجو فذهبت الى الوكيل هنا في المنطقة الشرقية وهو الحاج حسين علي رضا واخترت سيارة ذات لون (أبيض لولي) نوعية (5008 فل أوبشن بانوراما بحجم 7 مقاعد) كم لقيادتها من امتاع، والحق اقول بأنني لا أدري لم لم تجد هذه البيجو -على عمومها- حظوتها هنا في هذه البلاد وفي السودان كذلك، بينما هي السيارة الأولى في العديد من الدول ومنها جل دول الشام وكذلك مصر، لقد أعجبت بها حقا، والذي يحيرني أكثر أن أحبانا السعوديون لهم ذائقة لاينكرها من يعيش بينهم وقدرة بائنة على الاختيار والترجيح في عوالم السيارات والهواتف النقاله فكيف فاتت عليهم فخامة وجمال البيجو، لا أعلم السبب!

وأضيف كذلك بأنهم -أي السعوديين- أحسبهم من أمهر السائقين، اذ دوما أطمئن عندما أكون في سيارتي وأمامي أو خلفي سعودي دون سواه من الجنسيات الأخرى، وما ذاك الا لقدرتهم البائنة على السيطرة على العربة والقيادة ب(حرفنة) ان حدثت لا قدر الله بعض مفاجآت القيادة والطريق...

وعلى ذكر فرنسا لابد لي أن أترحم على المفكر المسلم الراحل روجيه جاوردي (رجاء جارودي) الذي كتب العديد من الكتب عن الإسلام قبل أن يرحل الى بارئه راضيا مرضيا بحول الله.

لقد كانت وجهتي الثانية مدينة باريس، ولكن قبيل سفري إليها عرض علي مدير التسويق لشركة بورنامان أن أزور (موناكو) التي تبعد حوالي 20 كيلومترا (كيلا) عن مدينة نيس...

والرجل من قاطني موناكو ويأتي كل صباح بسيارته الأوبل الفضية الفخمة، قال لي وهو يعرض علي ذلك:

- لحسن الحظ ياسيد علي، سيبدأ في الغد عرض موسيقي شهير يقام في هذا الموعد من كل عام...

ولن أنكر بأن الدعوة قد راقت لي، فقررت استغلال الويك اند للذهاب معه حيث وجد لي شقة لم يزل اسمها عالقا

في ذاكرتي لكونه مطابق لإسم مدينة في ولاية فرجينيا الأمريكية وهي (آرلنقتون) حيث اعتدت زيارة (نسيبي) أحمد حسن عمر البدوي الذي يقيم فيها منذ مجيئه الى أمريكا، وقد كان سعر الليلة في هذه الشقة الصغيرة يقل عن الألف ريال سعودي...

ما أجمل موناكو يا احباب، لعل أول مافوجئت به عن تلك الإمارة المكتظة بالناس لغتهم الغريبة والعجيبة!... إنها لغة، لاهي بالفرنسية ولا هي بالانجليزية ولا هي أيضا بالإيطالية!...

إنها لغة تقع على الأذن وكأنها سواحيلية لكنها ليست بالسواحيلية لكوني اعرف بعض كلماتها وسياقاتها! وجاء المساء، فاذا بمضيفي يتصل بي من أسفل البناية لكي ارافقه للذهاب الى الاحتفال الموسيقي الكبير والذي سأفرد له مقالا بذاته ان شاء الله، وذلك لوجود العديد من رؤس الاقلام التي تستحق التناول مقارنة بمهرجانات موسيقية عالمية اخرى قدر لي أن تصادفني خلال عدد من أسفاري في عدد من دول العالم.

نواصل

<https://www.almuhit-adn-news.com/news/929> /الاستاذ-عادل-عسوم-يكتب-فرنسا-التي-رايت

© 2026 شبكة المحيط الإعلامية — جميع الحقوق محفوظة